المقتطف

الجزء السابع من المجلد السادس والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٤ ربيع الاوّل سنة ١٣١٩

المدرسة الكلية ومكتبتها

انتهت الآن السنة الخامسة والثلاثون منذ انشئت اول مدرسة جامعة في الديار العربية بعد ما تقلّص منها ظل العلم و بزغت شمسهُ في ربوع المغرب . أُنشئت في مدينة بيروت مرضعة الحكمة في عهد الرومان وأُوت يوم انشائها الى دار صغيرة للطيب الذكر والاثر المرحوم بطرس البستاني . دخل تلك الدار نحو ستة عشر تلميذًا واخذ رئيس المدرسة ومنشئها الدكتور دانيال بلس يلقي علينا بعض الدروس الجبرية والمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي دروس النحو والبيان من كتابيهِ نار القرى وعقد الجمان وغيرهما من الاساتذة غيرها من العلوم

وفي العام التالي جاء الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات والدكتور بوست وانضموا الى اساتذة المدرسة وشرعوا في تدريس العلوم الطبية . وبعد سنتين أُخريين — وكان قد مرّ على المدرسة اربع سنوات — وقف خمسة في منبر الخطابة امام والي دمشق ومتصرف بيروت ووجهاء البيروتيين واللبنانيين وخطبوا في بعض المواضيع العلمية والفلسفية والادبية والاجتماعية مما تعلموهُ عن غوامض الكون وقوى العقل واسباب الارتقاء وطالبوا الحكومة بما يجب عليها نحو امتها وعاهدوا بلادهم امام ربهم ان يبذلوا النفس والنفيس في سبيل ارتقائها

وسارت المدرسة الكلية على هذا النسق سيرًا بطيئًا بقدم راسخة وبنت لها دارًا في رأس بيروت من اجمل دور العلم في اطيب بقعة من بقاع الارض تشرف على البر والبحر والجبال والوهاد . ومرّ عليها خمس عشرة سنة وحرية القلم وحرية اللسان مطلقتان لاساتذتها وتلامذتها يؤلفون و يصنفون وينشرون والناس يقرأون وتسعرُ نفوسهم بعد سني الذل المتوالية . حتى اذا زرنا القطر المصري قُبيل الثورة العرابية قابلنا خديويها ووزراؤها كأننا وفود من دار العلم

والعرفان وسفراء من بلاد الحرية والاستقلال لما كانوا يسمعونهُ عن بيروت ويقرأونهُ في جرائدها

لكن ما اسرع ما تتغير الايام . اول خطبة عمومية تليت في دار تلك المدرسة عند توزيع شهاداتها تلوناها مطالبين الدولة بالاصلاح والامة بالسعي فصفق لنا والي سورية قبل غيرهِ . وآخر شيء وصلنا من والي سورية قبل ان غادرناها إخطار رسمي بمنع حرية الصحافة

الآ ان المدرسة الكلية جسم حيٌّ نامٍ وهي مثل كل الاجسام الحية تعرض لها العوارض الخارجية فتضعف اولاً وتتكمش حتى اذا الفتها زال انفعالها منها وعادت الى النمو والريعان

واي نموٍّ اظهر من النمو الذي رأتهُ في السنوات الأخيرة فقد اتسعت مبانيها باضافة الدور الكثيرة اليها وأُنشئ فيها قسم استعدادي كبير تعلم فيهِ مبادئ العلوم واللغات وقسم تجاري لتخريج الشبان في ماتمس الحاجة اليهِ للنجاح في التجارة . وزاد عدد تلامذتها زيادة لامثيل لها فبعد ان بقي عددهم عشرين سنة دون المئة في قسميها العلمي والطبي صار فيهما الآن ٢٢٢ تلميذاً وبلغ عدد تلامذة القسم الاستعدادي والتجاري ٣٢٢ تلميذاً . وقد بلغ عدد الذين اتموا دروسهم في قسمها العلمي حتى الآن ١٩١ وفي قسمها الطبي ١٨٣ وفي قسمها الصيدلي ٧٨ وفي قسمها الاستعدادي ٤١٦ يطرح منهم ١٦٧ لانهم درسوا في قسمين او اكثر من اقسامها فيبقى سبع مئة شاب كلهم تقريباً من رعايا الحكومة العثمانية ومنهم الآن التجار والاطباء والمحامون والمعلمون والمحررون والموظفون في الوظائف الادارية المختلفة ولهم كلهم اليد الطولى في اعادة العلم والعرفان الى ديار المشرق

وتمتاز المدرسة الكلية على غيرها من مدارس مصر والشام بترغيبها تلامذتها في المطالعة فقد اعدّت لهم مكتبة كبيرة فيها نحو عشرين الف مجلد وضعتها في دار فسيحة كثيرة النور مطلقة الهواء ترى صورتها من الداخل في اول هذا الجزء وفيها من نخبة كتب المراجعة كالانسكلوبيذيا البريطانية والانسكلوبيذيا الاميركية وانسكلوبيذيا ريس وكتب بليني في التاريخ الطبيعي ونحو ذلك من الكتب الشهيرة التي يغني كلٌّ منها عن مكتبة كبيرة . واكثر الكتب باللغة الانكليزية ولكن فيها نحو الف مجلد باللغة العربية وبعضها من كتب الخط النادرة وفيها ايضاً الف ومئتا مجلد في العلوم الطبية ونخبة المجلات العلمية بالعربية والانكليزية والفرنسوية . والتلامذة دائبون على مطالعة هذه الكتب والمجلات ولا سيما ما يتعلق منها بدروسهم حتى تثنور اذهانهم وتتسع معارفهم ولذلك يخرجون من المدرسة وقد عرفوا من تاريخ العلم والفلسفة واقوال العلماء وآرائهم ما يقصر عن استيفائهِ كتب التدريس